

الباب الثاني

الشهادتان

• مقدمة وتعريف :

الشهادتان هما شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.
وهما أساس الإسلام الذي تقوم عليه العبادات الأخرى، من صلاة
وزكاة وصيام وحج، وبدونهما لا تصح العبادات المذكورة.
وهما لا تنفصلان عن بعضهما، فجعل الله تعالى أساس الإسلام
ومظهره وجوهره مبنياً عليهما، وجعلهما الله إعلاناً عالياً للإسلام في وقت
كل صلاة بالأذان والإقامة، ولا يكون الرجل مسلماً إلا إذا شهد بهما.
وكلمة " أشهد " لها مغزى خفي عميق، فالشهادة والشهود والإشهاد
معناه في اللغة العربية (رؤية العين)، فالشاهد من رأى بعينه وثبتت الرؤية
بعقله وقلبه، ورؤيا العين هي أعلى درجات اليقين، لذلك تسمى (عين
اليقين)، فهي لا تقبل شكاً ولا نقاشاً ولا جدلاً ولا حتى مجرد ظن، لذلك
فإن من ينطق بالشهادتين بعد أن رأى حقاً بالبصر والبصيرة والتفكير والتدبر
في ملكوت السماوات والأرض ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقد
صدق وكان مع الذين يقول الله عنهم في سورة آل عمران- ١٨:
﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ... ﴾
أما من قالها ونطق بها دون أن تجاوز لسانه، ولم يشهد أو يشاهد أو يرى
من معناها شيئاً، فإنه ولا شك يكون "شاهد زور"، وحسابه على الله،
وشهادة الزور أقرب الأعمال إلى الكفر، لذلك يقول تعالى:
﴿ ... فَأَجْتَنَبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَأَجْتَنَبُوا قَوْلَ الزُّورِ ۗ ﴾
حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ... ﴾ (الحج - ٣٠ و٣١)

صحيح أن من نطق بالشهادتين بلسانه وجب علينا أن نعدّه من المسلمين، لأننا أمرنا أن نحكم على الناس بالظاهر، ولقد كان في عهد الرسول منافقون يشهدون بالسنتهم ولا يؤمنون بقلوبهم، ولقد خاطب الله سبحانه وتعالى رسوله بقوله في سورة التوبة: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ﴾ (٩١) وذلك رغم نطقهم بالشهادتين، فالشهادة بالقلب هي الأهم والأعظم من شهادة اللسان.

• المعنى المقصود من الإسلام :

من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحج البيت إن استطاع إليه سبيلاً، فهو مسلم بنص الحديث المعروف : (بنى الإسلام على خمس ... الخ)، وهذا هو مظهر الإسلام الذي يتعارف به المسلمون فيما بينهم.

و المتأمل في كتاب الله الكريم يجد للإسلام معانى أخرى، فيقول الله تعالى في سورة الأنعام : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٦٤) لَا شَرِيكَ لَهُ ۗ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١٦٥) ويقول جل شأنه في سورة فصلت- ٣٣ : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢١٦) ونرى من هاتين الآيتين أن الله سبحانه وتعالى قد أطلق " لفظ

المسلم " على من وجّه وجهه ووجهته إلى الله تعالى، على من سلم كل أموره إلى الله، على كل من جعل صلاته، أى كل دعائه ورجائه وندائه وكل عبادته، بل جعل حياته كلها ومماته أيضاً لوجه الله الكريم، لا يريد سواه، ولا يخاف إلا منه، ولا يرجو غيره.

فالإسلام هو التسليم لله فى كل الأمور، والرضا عنه فى كل الأحوال، والشكر له، والاعتماد وصدق التوكل عليه دائماً. فيقول تعالى فى سورة النساء- ١٢٥: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ ﴿١٢٥﴾

لذلك أطلق الله وصف المسلمين على جميع الأنبياء السابقين ومن آمن بهم فى عصرهم، إذ يقول سبحانه فى سورة البقرة: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ۗ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۗ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ﴿١٢٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۗ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَئِ ۗ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴿ حتى أتم الله الدين وأكمله بمحمد ﷺ، وجعل كل من يبتغى غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، حيث صحح الرسول ﷺ العقائد السابقة التى تبدلت وتغيرت، سواء من طول العهد بها، أو بقصد التغيير لاتباع الأغراض الشخصية والاكْتساب منها، حتى تغيرت أغلب الملامح الصحيحة

للأديان السابقة، فكانت رسالة الإسلام هي التصحيح لما سبق، وكذلك استكمال التشريع بالدين الحنيف، وبهذا يقول تعالى في سورة (المائدة-٣) : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ... ﴾

ومما سبق نستطيع القول بأن الإسلام هو مظهر الإيمان من أفعال وأقوال، ولكن يلاحظ أن هذه الأفعال والأقوال ليست لها عند الله ميزان واحد للعقاب والثواب، فالله سبحانه وتعالى قد لا يقبل هذه الأعمال، حيث يقول في المائدة-٢٧: ﴿ ... قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ ، وقد يجزى الحسنة بمثلها، وقد يجزى الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وقد يضاعفها ويزيد عن هذا المقدار بغير حساب ولا عدد، وذلك بنص الآيات القرآنية المعروفة في هذا الصدد، ذلك لأن الجزاء والعقاب لا يقاس بالفعل فقط ولكن بالدافع الحقيقي لهذا الفعل، والإخلاص لله فيه حيث يأتي هنا دور (الإيمان).

فالإيمان هو التربة التي تزرع فيها الأعمال، وعلى قدر ما تكون التربة صالحة نقية طاهرة خالصة، على قدر ما يكون نماء الزرع فيها ومقدار ثمره.

فإن كان الإسلام هو الظاهر فإن الإيمان هو الباطن، أى الجوهر الحقيقي للدين، لذلك لم يخاطب الله الذين يعملون الصالحات فقط، بل دائماً قرن الإيمان بالعمل الصالح، فيقول في سورة يونس :

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ ﴿١٠٧﴾ ويقول في سورة الكهف-
 ١٠٧: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... ﴾ ويقول في سورة
 النساء- ١٢٤: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ
 مُؤْمِنٌ ... ﴾ وعلى قدر درجة الإيمان يكون الثواب لنفس الأعمال قلة
 وكثرة.

فالإسلام الحقيقي هو المظهر النابع من الجوهر الحقيقي للدين
 وهو الإيمان، فلا غنى للمسلم الحق عن الإيمان والإسلام معاً.

وفي الحقيقة لا يوجد فصلٌ وحادٌ بين الإسلام والإيمان، فكلاهما
 مرتبطان بالآخر، فقول رسولنا ﷺ: " إِنَّ الْإِيمَانَ بَضْعٌ وَسِتُونَ شَعْبَةً.
 فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ. وَالْحَيَاءُ
 شَعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ"^(١)، يدل على أن ثمرة الإيمان أفعالٌ وأعمال ظاهرة،
 وكذلك قوله ﷺ: "والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن،
 قيل: من يا رسول الله؟ قال: من لم يأمن جاره بوائقه"^(٢).

وقول الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا
 أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
 وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ

(١) رواه الخمسة عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه من حديث أبي شريح رضي الله عنه.

أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤١﴾ يدل على إسلام الوجه لله تعالى، يعني الإيمان به، وهو عمل من أعمال القلب.

أما الإحسان فهو المقام الأول والأعلى للمسلم الحق، فهو الثمرة النهائية للإيمان والإسلام، فهو مقام المراقبة لله سبحانه وتعالى، ومقام الشهود لعظمته وملكوته، كما قال ﷺ: "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك" (١).

● المعنى المقصود من لا إله إلا الله :

الإله هو العظيم الأعظم، الكبير الأكبر، صاحب الفضل على عباده والقوة عليهم، مالك رقاب العالمين، المهيمن على القلوب والأرواح؛ وله الحكم فى كل شئ، وهو القادر على كل شئ، وهو قاهر كل شئ، ويده مقاليد السموات والأرض.

فالله سبحانه وتعالى صاحب القوة والقهر والجبروت، فالعباد أولى بالخوف منه، لذلك يقول: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ... ﴾ (الأنعام-٦١)، ويقول: ﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾ (الأنبياء-٢٣)، ويقول فى سورة (يس-٨٢): ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾، وهو سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم، اللطيف الودود، فهو أولى بالحب والشكر والثناء عليه، ويقول سبحانه: ﴿ بَنِيَّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا

(١) رواه البخارى ومسلم وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه

الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١١﴾ (الحجر-٤٩)، ويقول: ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف-١٥٦)

وهو سبحانه العزيز، يعز من يشاء، فمن كان يريد العزة فلله العِزَّةُ جميعاً، وهو الرازق الشافي القيوم القائم بتدبير الأمور كلها لعباده وخلقه أجمعين فبه العون والاستعانة، ومنه القوة والعزة، والله سبحانه من رحمته بعباده تعرَّفَ إليهم، فعرفهم نفسه وصفاته، وتقرب إليهم بالنعيم والخيرات مرة، ليشكروه، وبالشدة والبلاء مرة، ليذكروه ويستعينوا به.

فغاية الأمر ونهايته أن يذكر العبد ربه في كل وقت وتحت كل ظرف بما يناسب وقته من أسمائه وصفاته تعالى، فالحمد والشكر للمنعم، والرجاء والأمل في اللطيف الودود الرحيم الرحمن .. والهيبة والخوف من الجبار المتكبر القهار جل شأنه، وللمدنب الغفار الستار الحلِيم الغفور .. ولطالب التوبة التوابُ المَنَّان .. وهكذا لكل حالة من حالات العبد، وكل صفة من صفات المولى جل وعلا .. إلى آخر الصفات المذكورة في القرآن الكريم.

وقال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا..﴾ (الأعراف-١٨٠)،

وقال سبحانه: ﴿... أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿١٠٠﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿١٠١﴾﴾ (الأحزاب-٤١و٤٢)

فأسماء الله تعالى هي الدالة على صفاته التي يعامل بها خلقه؛ فمن شهد ألا إله إلا الله فإنه يشهد ألا إله إلا الله القوى فلا يخاف

سواه. الله الرزاق فلا يسأل غيره. وهو الغنى وما سواه فقير إليه، وهو الكريم الوهاب الذى لا يردُّ من طلب منه ولا تنفذ خزائنه. وقال سبحانه: ﴿.... أَدْعُونِيُ اسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر-٦٠)

فالذى يشهد بوحدانية الله سبحانه لا بد وأن يعلم بوحدانية هذه الصفات له وحده بالكيفية التى تليق بجلاله وحده بعيداً عن التشبيه والتمثيل، فإنه جل شأنه ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى-١١)

وصفات الله سبحانه وتعالى قسمان : قسم للتخلق بها، فعلى المسلم أن يتخلق ببعض صفاته، فالله هو الكريم، ويحب الكريم، وهو الرحيم، ويحب الرحيم، وهو المحسن، ويحب المحسنين، وهو العفو ويحب العفو، والعافين عن الناس، وقسم للتعلق، أى لحُبِّها فقط، ولا يجوز أن يتصف المسلم بها، فالله سبحانه وتعالى هو المتكبر، ولا يحب المتكبرين، وهو القاهر فوق عباده، ولا يحب من يقهرهم بجبروته، وهو المتجبر، ولا يحب المتجبرين ... إلخ.

وفى حديث عثمان بن عفان رضى الله عنه "إن الله تعالى مائة خُلِقَ وسبعة عشر خُلُقًا من أتى بخُلُقٍ منها دخل الجنة"^(١)، يأمرنا رسول الله ﷺ أن نتخلق بأخلاق الله وأن نتصف بصفاته والمقصود طبعاً

(١) رواه أبو يعلى في المسند الكبير ورواه البزار وأبو يعلى والبيهقى فى شعب الإيمان عن عثمان بن عفان رضى الله عنه وفى إسناده عبد الله بن راشد وهو ضعيف.

صفات التخلق، فالله يصف رسوله ﷺ بأنه بالمؤمنين رءوف رحيم، ويقول ﷺ: "الراحمون يرحمهم الرحمن" (١). ولا يتسع المجال للإسهاب، وسوف نفضلها في الجزء الثاني إن شاء الله.

وموجز القول أن معنى شهادته ألا إله إلا الله هو الإيمان واليقين بأنه وحده لا شريك له في تدبير الكون، وأنه لا يستحق العبادة سواه، لفضله العظيم ونعمه ولطفه وإحسانه، ولقوته وقهره وجبروته، وأن يجعل العبد ربه هو المقصود بالعبادة وبحياته كلها، فلا يكون له مقصود إلا رضاء الله، وأن يخلص في سره وعلايته وفعله وقوله وظنه.

فمن شهد بالوحدانية والقدرة والعظمة لله كان حقاً عليه أن يطيع الله فيما أمر، وأن يتعد عما نهى عنه، فإن عصاه فليستغفر ولا يقنط من رحمته، وإن أطاعه فليحمده على توفيقه، فإن الهدى هدى الله يهدي به من يشاء من عباده، ثم بعد ذلك فليطمئن قلبه بالله تعالى ويسلم أموره إليه، ويحسن توكله عليه سبحانه وتعالى.

وبالإجمال فإن من شهد ألا إله إلا الله كان حقاً عليه أن يشهد بصفاته وأسمائه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والعقاب والثواب والقدر خيره وشره، إما شهادة عين وإما شهادة قلب.. وهو الإيمان كما ذكر في الحديث الشريف.

وليس هناك كلمة أفضل عند الله من كلمة التوحيد، وقيل في

(١) رواه أبو داود و الترمذى وقال حديث حسن صحيح ورواه الحاكم فى المستدرک بسند صحيح والحديث عن عبد الله بن عمرو.

معنى قوله تعالى في سورة (فاطر-١٠): ﴿... إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ...﴾، أن الكلم الطيب هو قول لا إله إلا الله، فلا ترفعها الملائكة، ولكنها تصعد بذاتها، لعظمتها وكرامتها عند الله.

والرسول ﷺ يقول: "قولوا لا إله إلا الله تفلحوا" (١)، وقيل: إن من قالها مرة واحدة فله ثواب بعدد كل من ينكرها من الكافرين، لأنه بمثابة من يرد عليهم دعواهم، لذلك كان الرسول ومن معه من خاصة الصحابة وأهل الصفة يذكرون الله بها كثيراً، فرأى وجماعات.

• المعنى المقصود من شهادة أن محمداً رسول الله :

الإيمان بأن محمداً رسول الله هو اعتراف ضمنى بكل تعاليم الرسول، واتباع سنته والتزام أدايه.

والرسول ﷺ وإن كان من البشر، بل هو سيد البشر فإن الله قد اصطفاه وطهره، واختاره وعلمه وأدبه، وقال له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم-٤)

وإن كان الله تعالى قد اصطفى رسله من الخلق، فقال سبحانه

(١) روى الحاكم عن ربيعة بن عباد الدؤلي قال: رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الجاهلية بسوق ذي المجاز وهو يقول: "يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا" أخرجه الحاكم في المستدرک وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ورواه الطبرانی في الكبير

فى (آل عمران - ٣٣): ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ
 وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٣٣﴾ فإنه جل شأنه قد اصطفى محمداً
 من الأصفياء، وأعلا شأنه فوق الأنبياء، وجعله إمامهم وقودتهم فى الدنيا
 والأخرة، وافهم من قوله تعالى فى سورة النساء: ﴿ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ
 عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ ﴿٤٤﴾، أنه لم ينل أحد من خلق الله كلهم أكبر من
 هذا الفضل وإلا كان فضله تعالى على محمد ﷺ ناقصاً وليس بعظيم ..
 فإن قال تعالى لموسى (طه-٣٩): ﴿ .. وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ ﴿٣٩﴾ فقد
 قال لمحمد (الطور-٤٨): ﴿ ... فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾، وإن نبع الماء من
 الصخر لموسى عليه السلام، فقد نبع الماء من بين أصابع سيدنا محمد
 ﷺ فروى الجيش وسقاه .. وإن أحيى الله الموتى ليعسى، فقد كلمت
 الشاة المسمومة المطهية رسول الله ﷺ، وإن كلم سليمان الحيوان
 والطير فقد كلم محمد ﷺ الجمل والضب والغزاة، وبكى جذع الشجرة
 لفرافقه فى المسجد، ورد ﷺ عين سيدنا قتادة إلى مكانها بعد أن سألت
 على خده فكانت أحسن عينيه .. ونصير بالربح مسيرة شهر، وسخر الله
 له الريح .. وآمنت به الجن .. وأوتى من الجمال فوق جمال يوسف،
 ولكنه كُليل بالجلال فلم يُفتن أحد به .. وأوتى من الحكمة فوق حكمة
 لقمان (الأحزاب-٣٤): ﴿ وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ
 اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ ثم كان القرآن العظيم أكبر آية وخير معجزة له ﷺ.

وقرن الله تعالى أسم رسوله باسمه فى الشهادتين تعظيماً وتشريفاً
 لقدره العظيم، وقال فى (الأحزاب-٥٦): ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ
 عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾^(١)
 ويقول الرسول: "من صلى على مرة صلى الله عليه عشرًا"^(٢) والله
 سبحانه وتعالى يقول: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ
 اللَّهُ ﴾ (آل عمران-٣١) ويقول: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ
 حَسَنَةٌ ﴾ (الأحزاب-٢١) ويقول: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ
 أَنفُسِهِمْ... ﴾ (الأحزاب-٦)، وقال ﷺ: "إنما أنا رحمة مهداة"^(٣).

فتعظيم الله لنبيه لا يخفى على أحد، وإكرامه له فى حياته وبعد
 انتقاله إلى الرفيق الأعلى ويوم القيامة معروف بما تواترت به الاحاديث،
 وذكر فى القرآن الكريم.

والرسول ﷺ تعرض عليه أعمال أمته، فإن وجد خيراً حمد الله،
 وإن وجد غير ذلك استغفر لهم الله، وهو المشفعُ فيهم يوم القيامة،
 تعظيماً لقدره الرفيع.

(١) حديث صحيح رواه مسلم والترمذى والنسائى والبخارى وأحمد والحاكم وصححه
 السيوطى فى الجامع الصغير، من حديث أبي هريرة وحديث عبد الرحمن ابن
 عوف.

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرک وقال هذا حديث صحيح على شرطهما.

فمن عرف قدر الرسول ﷺ وعظمته ورحمته ورأفته بالمؤمنين كان حقاً عليه أن يتبعه في كل أمر وفعل وخلق وأدب له ﷺ .

ولا يحسبن مسلم أنه بصلاته على الرسول يرفعه ﷺ درجة، فإنه عليه الصلاة والسلام قدره الله إلى أعلى الدرجات، وآتاه من الفضل ما لا مزيد عليه.

ولكن للصلاة عليه فائدة أجل وأعظم وأعمق معنى، ذلك أنها تعود على قائلها بالخير، فكان المصلى على الرسول يطلب الرفعة والتشريف لنفسه أيضاً، وأكثر من هذا شرفاً وتعظيماً أن يدخل المصلى على الرسول في حضرة الله والملائكة الذين يصلون عليه، وأكرم بها من درجة رفيعة.

ويقول رسول الله ﷺ: "أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة"^(١)، أو كما قال ﷺ.

والرسول ﷺ هو المسلم الكامل، والعبد الخالص لله جل شأنه، فمن أراد أن يتعلم فليتعلم منه ومن أقواله وأفعاله وأدابه، ويجب على المسلم أن يعلم أن الأنبياء معصومون من الخطأ، والرسول ﷺ إمامهم وهو الأولى بالعصمة، وهو ما ينطق عن الهوى، لذلك يجب الاحتراس عند دراسة سيرته، فإذا وجد القارئ عملاً أو قولاً لم يستطع أن يفهمه فعليه أن يرُدّه إلى ضيق أفقه هو، وقصوره عن فهم المعنى المقصود والحكمة الإلهية وراء ذلك.

(١) أخرجه البيهقي في الشعب وابن عساكر عن أنس وروى الترمذي عن ابن مسعود "أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة". وقال حديث حسن غريب

ويقول المسلم أن محمداً رسول الله، أصبح لزاماً عليه أن يدرس تعاليمه وتوجيهاته ليقتردي به.

ولقد قال ﷺ: " لن يكمل إيمان أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه " (١)، فحب الله ورسوله أولى من كل حب، والحب معناه الطاعة والتعلق والتشبه بمن يحب، فمن زعم أنه يحب الرسول دون أن يقتردي به فليس من الصواب في شيء.

وقد تجاوز حب صحابة رسول الله ﷺ لرسولهم حد اتباعه في العبادات إلى اقتفاء أثره في العادات، وذلك من فرط حبهم له واتباعهم لسيرته ﷺ، فطوبى لهم، ثم طوبى لهم.

لذلك يقول الرسول عليه الصلاة والسلام أن من ترك سنته فقد حرم شفاعته يوم القيامة.

فشهادة أن محمداً رسول الله معناها التعظيم والحب له واتباعه فيما كان يفعل.

(١) رواه البخارى وأحمد وابن ماجه والبيهقى عن أنس بن مالك رضى الله عنه ولفظ البخارى: ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقي في النار. وفي كنز العمال ذكر مارواه الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبىه ونصه: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه، وأهلى أحب إليه من أهله، وعترتى أحب إليه من عترته، وذريتى أحب إليه من ذريته

• خاتمة :

وبعد : فهذه كلمات موجزة لمعان تستحق أن نكتب فيها كتاباً كاملاً بإذن الله تعالى، ولكن عسى أن تكون قد ألفت بعض الضوء على المعنى المقصود من كلمة التوحيد.

لذلك يقول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام أن من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله دخل الجنة^(١)، فالمقصود ان يقولها بحقها، ظاهراً وباطناً، مخلصاً لله تعالى، مسلماً مؤمناً، فإن نقص من هذه المعاني شيء فإسلام العبد يكون ناقصاً بنفس القدر.

نسأل الله أن يوفقنا لحسن الإسلام وكمال الإيمان وأنوار الإحسان.

(١) ورد في كنز العمال الإصدار ١،٤٣ - للمتقي الهندي برقم ١٤٢ - "اعلم أن من مات يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله دخل الجنة" في كتب متعددة عن أنس وصححه.